الشعر والسياسة (٢-٥)

ثمة ملاحظة يحتاج لها الدرس هي أن أكثر الشعر السياسي الانجليزي من مارفيل، ميلتون، بليك، وردزورث، شيللي، كلوف، واودن المبكر، جمهوري النزعة بينما اكثر الشعر العربي والعراقي وابتداء من امرئ القيس حتى العقدين الاولين من القرن العشرين هو ملكي النزعة. هو سياسي ذو نزوع تحرري لكنه لم يتجاوز الظلال الملكية. موجز، المطلوب فيه هو ان تكون الظلال الملكية افضل، اكثر رغدا. وهذا الموقف ليس تجاه الحاكم حسب ولكنه المنظور الاجتماعي السائد في الحياة. هو لا يتجاوز الاحلام بالمساواة والعدالة الاجتماعية وحرية الفكر.

ياسين طه حافظ

لكن بعد الحرب الثانية، في العراق وفي شرق آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، ارتبطت القصيدة السياسية بالتحرر من الاستعمار مع نزوع اشتراكي مُعْلَن أو مُضْمَر وقد تجلت السياسة بمظهرها التحرري – الديني اولا ثم الوطني القومي ثم بما كان يدعو له الاتحاد السوفيتي من موقف مضاد لقوى الغرب الامبريالية وهنا اتضح اليسار.

لكن التحولات الصعبة وقلق العالم صحبهما نزوع واسع للتمرد وللرفض، كما الاحباط واللامسؤولية وقد وصَلَنا في السنين الاخيرة هذا المدُّ واتضح هذا النوع بما يمكن ان اسميه بـ"الثورية الفردية" او الرفض والرغبة الساخطة في التغيير.

لكن ظل اودن على قناعته. ظل يؤمن بأن الانسان لا التاريخ صاحب القرار:

"قد يقول التاريخ للمهزوم وا أسفاه
ولكنه لا يستطيع ان يساعده او يغفر له.."

ولكي نفهم هذه المرحلة وما بعدها، لا بد لنا من العودة إلى ما قبلها إلى فترة الرمزيين والرومانسيين لنتعرف على "تربية" الفرد "الشعري". فمنذ بودلير والشعراء يشعرون بأنهم منبوذون أو ارستقراطيون، إن لم يكونوا الاثنين معاً. وفي مجتمعات تسيطر عليها القيم والمؤسسات البرجوازية تكون الانكسارات، والحالة هذه، حتمية بسبب "لا أصالة" الروح النضالية فيهم. فهم أصلاً بين الجنون الثوري لبودلير والرفض البوهيمي او الصعلكي لأجيال الضياع السياسي. "ويتس" الارسخ عقلاً وحكمة كان ناطقاً باسم كل من الارستقراطية والفلاحين. ولم تكن الروح القومية الايرلندية وحدها التي احتفى بها ييتس في انتفاضة ١٩١٦ ولكن قضية الأستاذ كانت حاضرة ولم يساوم عليها. إذ كتب يقول وهو يتحدث عن الانتفاضة التي يتبناها:

ان جمالاً فضيعاً يُولد!

وقد ظل النزوع الى الكمال عند ييتس اقوى من الثوري وهذه على ما يبدو صفة كل الجماليين الكبار. فـ"خمنييث" الاسباني اعتقد انه دائماً، وفي كل شيء، لا بد من أن ينتهي المرء بالشعر، فهو المعبّر اللامنافس له للارستقراطية.."

وهكذا يكون للسياسة اهتمام محدود أو تكون قلقة إذا ما كانت مغرياتهم الشعراء مختلفة عن مغريات الآخرين فيها. ولكنهم عموما ضمن الثورة العامة على حضارة معقدة التنظيم، مُحاصرة للتطلعات بشكل عام وواسع. الأستاذ "مايكل بولاني" يعلّل تلك الحال المعقدة بـ"التوتر بين شكيّة وضعية وكمالية أخلاقية حديثة في عصرنا" ويتابع: "لقد تفجر الوضع في اتجاهين: واحد نحو الفن والفلسفة، والآخر نحو السياسة. كان الأول حركة باتجاه الفردانية المتطرفة والثاني على النقيض، باتجاه الاستبدادية الشمولية الحديثة. وقد تبدو الحركتان في حالة تناقض تام، لكنهما، على كل حال، ليستا سوى حلول بديلة للمعادلة التي استلزمت الإشباع المشترك لإيمان بكمال أخلاقي وافكار مقابلة للحوافز الأخلاقية". اظن ان هذا التحليل حسم اللغط الكثير المصطنع غالباً للنظر الى الموقف الثوري التقدمي – السياسي والنوازع الفردية مختلفة و"مقنّعة" الاسباب والتي ستتكشف لنا من بعد.

اطلت الكلام في هذه المسألة لانها ستولد من بعد النزعة الفردية، والتشبّث القوي بالفن، وهذه المحبة الفائقة للفن القت اللوم على السياسة لإضرارها بالشعر مما دعا لتأكيد الذات ضد الحشد او القطيع، كرد فعل، او كقوة مضادة تواجه الدعوة لحشد طاقات الجماهير والعمل الجماعي للنضال بالنسبة لشعوب العالم الثالث، ولبناء الاشتراكية في دول الاتحاد السوفيتي.

الحرب الباردة لها نظرياتها ومُنظّروها ومدارسها الفنية، مثلما لها مدارسها الفكرية. وهذه الحال أوجدت شعراً سياسياً مختلفاً في الغرب، وأوجدت شعراء حداثة يرفضون الخدمات الايديولوجية رَفْضَهم للخدمة الالزامية. وهذه مهّدت للتحولات التي حصلت لشعراء هذه الشعوب الحداثيين، في رفض احزابهم وافكارهم الاولى وتحوّلهم الى اليمين او الى اليسار المشوب. وقد مرّ بطريق الهروب، أو الاحباط، هذا ، من شعرائنا، السياب والبياتي وبعض من شعراء الستينيات وانتهينا أخيراً عند الشاعر سعدي يوسف كأحد المحبطين في الثورة وفي العمل الثوري. مثل هذه الانتقالات الى الظلال الآمنة او المغرية امتدت لتشمل شعراء جيدين وكتاباً كباراً في افريقيا وآسيا والعديد من شعراء المنظومة الاشتراكية ومن الصين واليابان. في جميع الاحوال نحن لا ننفي الخيبة في الثورة كواحد من الاسباب، ابداً، هذا سبب، ولكنه ليس كل الاسباب. الشاعر يأسى ويوجعه الحال السيئ ويحزنه موت الحلم

هذا الشاعر الصيني العظيم آي كوانج يقول:

آه ايتها الصين،
هل يمكن في الليلة التي لا مصباح فيها
أن تمنحك أبياتي الهزيلة بعض الدفء؟

وميووشس اليولوني يدين الحال المزري لشعبه:

الإنسانية اليائسة تخيم على ارض المحطة
قبّعات تغطي الآذان وأغطية رأس
وجاكيتات محشوة وفروات
ينامون جنباً إلى جنب ينتظرون القطار
ولكن
ولكن البرد يهاجمهم من المدخل.

البرد أو الشر أو السوء يأتي من باب المحطة او باب الدولة او نظام الحكم. وكما ترون القصيدة السياسية ليست صراخاً في سطور من نظرية ولا اعادة كتابة شعارات. القصيدة السياسية استخلاص لروح الحال الاجتماعي او الحال الفردي بوصفه كاشفاً عن حال عام.

في قصيدة فلاديمير هولان الجيكي ما يُنسينا انها قصيدة سياسية وهي تتحدث عن منتهى الاحباط والزراية البشرية:

– انت تموت، هل تمتعت بحياتك؟
– نعم
– كيف؟
– مرة تحت شجرة قديمة
سلمتني فتاة لا اعرفها رسالة ومضت
– هل قرأتها؟
– نعم
– ماذا تقول؟
– لا شيء!

إذن الرسالة التي أفرحته الحبيبة ، الثورة، لا شيء فيها. هو احباط سياسي. ولكنه كتب شعراً لا سياسة. في هذه القصائد وعي سياسي ووعي انساني غير منسجمين.

المرحلة الثالثة، في تطور الشعر السياسي، او التحولات التي مرت بها القصيدة السياسية، بدأها عندنا، عبد الوهاب البياتي في "عشرون قصيدة من برلين" وهي محاولة طيبة لايجاد صلات بين الافكار النظرية والتجارب الشخصية مستفيداً من بريشت. لجعل العام خاصاً. ومن هنا، بالنسبة لي، اهميتها المرحلية. تطوّر هذا الخط هو الذي افضى من بعد، وبتضافر عوامل ثقافية، واتساع الثقافة الادبية الحديثة، الى القصيدة الستينية وما بعدها من قصائد الرفض والالتفاف على منغصات الحياة وعلى القسر وضيق آفاق العيش والاصطدام الحاد بالتخلف الاجتماعي لعموم الحياة.

ثمة قول للشاعر والدارس ادريان ميتشل Adrian Mitchell، فحواه: "ان تكون يمينيا، فأنت تحتاج الى اليسار لتكتب قصيدة جيدة" هذا يعني ان تكون رافضا، ان تكون ثورياً او تحتج انسانياً وقدْر ما افهم، هذا القول يعني الافادة من التضاد في العواطف والاستفادة في العمل الشعري من تقاطع الافكار، للتعبير عن الانسانية الخاصة التي نريد. الحاجة الى اليسار بهذا المفهوم تمنح القصيدة طاقة فعل ودرامية اوسع، وبها يتصل الشاعر بالظاهرة الاجتماعية.

والى أي الاسباب عزونا نأي العديد من الشعراء عن افكارهم او مواقفهم السياسية، يبقى مؤكداً ان قطيعة اكثرهم لم تكن نهائية وان المواقف الانسانية ظلت محترمة في سلوكهم وكتاباتهم ولكنها محرجة بسبب ضرورات العيش.

حرف علّة

■ عواد ناصر

صديقي الرسام شاعراً

أعرف، يا صديقي الرسام، مقدار أساك الذي لم تستوعبه اللوحة، فكتبته على شكل قصيدة عنوانها "البهجة" وتلك مفارقة أولى تضعنا معاً عند مكاشفات الروح وتستفز فينا كبرياء العراقي الذي يبقى، إلى أبد الآبدين، يفتش عن منفذ لدموع لا تجد منفذاً.

أشكرك لأنك خصصتني بهذه القصيدة، قصيدة، قصيدتك، التي لم تفاجئني، فأنا أدرك، بحساسيتي الشخصية، لا بحصافتي النقدية، بأنك تجيد كتابة الشعر، لا معرفته، أكثر من كثير من الشعراء الذين نضحك عليهم وعلى قصائدهم، ولنا تحويرات وإعادة صياغات لقصائد شهيرة تحولت على أيدينا إلى فكاهة، فكاهة لا غير.. ألم "تحوّر، أنت، سطر سعدي يوسف: نبيٌّ يقاسمني شقتي" إلى "غبيٌّ يقاسمني شقتي" وتقصد بالغبيّ شخصاً آخر غيركما؟

قصيدتك هذه "نفثة" غضب جاءت هاربة من اللوحة التشكيلية إلى النص المكتوب تستجير بمن يفهم ويعي معنى الحزن الذي فضلت أن تستعير له مفردة "أسى" وهي أكثر قدرة على تحويل الشعور إلى معناه اللغوي.

خسارتك، كما جاءت في قصيدتك، هي ربح فني كما تملي أنانيتي، شاعراً، وأعتذر منك على هذه الأنانية الفنية، ففي لحظات الأسى الشخصي لا يجوز أن نحيل المشاعر إلى نقد، ولكنها "نزوة" الكتابة التي تزيح فرديتنا، أحياناً، لتتمظهر فينا "إرادة" الناقد الحصيف.

هي مفارقة أن تضع عنواناً لقصيدة مفعمة بـ"الأسى" هو "البهجة" ولأنني أعرفك ساخراً حاذقاً، فها أنت تسخر من نفسك، ومني أيضاً! أنت تبدأ هكذا: "سنقتسم البهجة/ تفاحة النور/ ومتعة الحليب على الأصابع/ لا نقتسم النور ولا النظر/ وليس القمر بكل تأكيد/ هل نتقاسم الهاوية المريعة التي ورائي/ هل نتقاسم فرحي/ أم درب السديم هذا؟". ولا أظنّ مفتتحك سوى فخٍّ، مثل فخاخك العديدة التي تنصبها لأصدقائك ولا أصدقائك، حتى تدخلنا، كلينا، في لجة الأسى، أساك، وهو أساي، وربما أسانا الجمعي:

"اهدأ قليلا، أنت تخربط فوضاي/ وتعبث بهذا العذاب المنثور كما حب الرمان/ على غيمة الحرير/ اهدأ، فهذا الارتباك المنسوج من أصابعي/ هو نعمة مساء الندم هذا".

هاأنذا اكتشفت فخّك فاجتنبته كي لا أقع في حبائل خسارتك وحزنك وندمك، غير أن حساب الخسائر لن يفيدنا، يا صديقي، سوى ما يجعل المكان مناسبة شخصية لتفقد الحاجيات الضرورية للروح.. على أن هذا المكان رغم تلاشيه بسبب عاديات عدّة أربأ بنصي أن يبتذل بذكرها، ويبتل معك في رطوبة البحر، فلتبتل وحدك، لأنني شبعت غرقاً:

"إني أشم رطوبة البحر الصاعدة من الجنوب/ أشم زناخة الميناء القديم/ وأرى نخلاً يمشي/ أهي علامات الذهاب اذن/ أهي صافرة الموت؟".

كما أرى هو المكان القديم، حتى لو كان ميناءً، وقد احتضن دهشتك/ دهشتي القديمة التي نادراً ما تعاودنا هذه الأيام، فزماننا يفتقد الدهشة، حتى لو كانت على شكل قميص مغسول ومكوي، مفعم برائحة الصابون.

إن إشاراتك الخائفة بشأن الموت تراودني أنا، أيضاً، لكنني أعيشها كل صباح أفيق فيه فأتفقد أعضائي وأجس قلبي لأتأكد من نبضه الباقي، فأشعر بالسعادة لأنني لم أزل على قيد الحياة، أو ينتابني الضجر لأنني عشت أكثر من نصف قرن، بعقد من السنوات، وهذا كثير في حساب حياة الشعراء الشغوفين بالموت المبكر.

هناك حيث جلست أمي ذات غروب/ مرة قبل ثلاثين سنة/ تراقب الأفق وتعدد الخسارات/ ها هي تقوم من جلستها الآن/ تلامس بيديها الكليلتين/ سعفة جرفها المد/ وكأنها تمس دمعة/ أهي علامة الموت، إذن؟".

شكرا صديقي الرسام على قصيدتك، شكراً، يا يوسف الناصر.

محطات

شعر صلاح حسن في جامعة تيلبيرخ الهولندية

ابتداء من الخامس من شهر اكتوبر القادم ستقوم جامعة تيلبيرخ الهولندية العريقة بتدريس شعر الشاعر العراقي صلاح حسن المترجم الى الهولندية في كلياتها. وصدرت للشاعر صلاح حسن خلال اقامته في هولندا اربعة دواوين شعرية باللغة الهولندية ، وقد فاز خلال هذه الفترة بثلاث جوائز شعرية من بين هذه الجوائز " جائزة دنيا " حيث فاز بها مرتين في العامين ١٩٩٦ و ١٩٩٨ . وكان اول من فاز بهذه الجائزة الشاعر الاسباني روفائيل البرتي صاحب الغابة الحجرية .

شارك الشاعر صلاح حسن طيلة فترة وجوده هناك في اغلب المهرجانات الشعرية التي تقام في هولندا وقد دعي الى مهرجانات عالمية كثيرة في امريكا اللاتينية واوربا والعالم العربي . للشاعر صلاح حسن العديد من المؤلفات الشعرية والمسرحية تربو على الثلاثين كتابا في ثلاث لغات هي العربية والهولندية والاسبانية ، وقد فاز قبل فترة قصيرة بالجائزة الاولى لادب الرحلات في مسابقة ناجي جواد الساعاتي . لديه عدد من الكتب تحت الطبع في الشعر والمسرح وادب الاطفال .

رحيل باري أنسويرث الحائز على جائزة البوكر

غيب الموت كاتب الخيال العلمي التاريخي الحائز على جائزة البوكر عام ١٩٩٢، باري أنسويرث، عن عمر يناهز ٨١ عاما.

وقال وكيل الكاتب لصحيفة نيويورك تايمز انه توفي في إيطاليا بعد صراع مع سرطان الرئة.

وكان أنسويرث قد فاز بالجائزة مناصفة عن روايته "الجوع المقدس" مع الكاتب مايكل أونداتجي عن روايته "المريض الانجليزي"، مما شكل سابقة في تاريخ الجائزة.

وعرف أنسويرث الذي ولد عام ١٩٣٠ بحبه للبحث المستفيض، وقد نشرت أولى رواياته عام ١٩٦٦ بينما نشرت الأخيرة، وهي تتمة لرواية "الجوع المقدس" العام الماضي.

وكانت رواية "الجوع المقدس" التي تتحدث عن العبودية في القرن الثامن عشر في منطقة المحيط الاطلسي مثالا على استخدامه احداثا وقعت في الماضي لإسقاطها على الحاضر.

ومن رواياته الأخرى رواية بعنوان "هناك مرادف لها باليونانية".

في أربعينيته

اتحاد الأدباء يستعيد الشاعر رشيد ياسين

محمود النمر

اليوم نستعيد شاعرا وناقدا وباحثا خذلته المنافي واخذه الموت بعيدا واعتقد ان المنفى كأن يكون حالة من حالاته وشكلا من اشكال الموت ،لان المنفى العراقي منفى قاس جدا.

بهذه الكلمات ابتدأ الناقد علي حسن الفواز جلسة استذكار للشاعر رشيد ياسين في الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين، بمناسبة اربعينيته وقال : حتى الذين اصطنعوا داخل هذه المنافي الفضاءات الانسانية ، كانوا ايضا يعيشون هذا القلق وهذا التوجس ، رشيد ياسين واحد من الذين كانوا يحلمون بأن يكون العالم معرفيا ، وان يكون العالم شعريا ، وان الراحل كان صاحب صوت صادح وغاضب دائما ،لكنه كان يحمل روحا ندية لانه مسكون بالشعر .

وتحدث شقيقه الناقد الموسيقي حميد ياسين مستذكرا علاقة السياب مع رشيد وكيف كان الاخير ينقد شعر السياب او يضيف او يهمش بعض الاشياء ،وكان السياب يتقبل تلك المقترحات ، وقال عن رشيد ياسين لقد كان اخي واقعيا ، وامتلك ثقافة واسعة في التاريخ العربي الاسلامي ، بل كان معتدا بثقافته كما اعتد بارائه بالشعر ،كما جعل من ثقافته الانكليزية مصدرا ثانيا لترسانته اللغوية ، لازلت اذكر ان نقاشه المحموم مع السياب ،وكان السياب يقبل ملاحظاته ويقول انا الشاعر الذي سيعرفني القراء على ضوء ماانشره ،وبقدر ما كان يسعى للاتيان بشعر يمثل تطورا في البناء الشكلي في القصيدة الشعرية العربية الحديثة ، لقد كان واقعيا اذ يؤمن ان امثلته في الشعر هو المتنبي وبشار بن برد .

واكد الناقد فاضل ثامر على اهمية رشيد ياسين وقال عنه انه قامة شعرية عراقية اذ كان يحلم بالعودة الى العراق لكنه لم يجد الفرصة الملائمة فغيبه الموت فجأة ،واشار الى انه قبيل حوالي السنة اتصل به هاتفيا وقد فوجئت بصوته وقال انا رشيد ياسين وانا اتصل بك من الولايات المتحدة الامريكية ،وارغب الى العودة الى العراق ،لكني لااعرف كيف اعود وماهي الضمانات التي تتوفر لي في العراق ،وقال ثامر حاولت ان ارفع من معنوياته ولكني لم اعده بشيء لاننا نعاني من فجوة بين المثقف وبين رجال السياسة ، ولكن انت ستكون في القلب نحن سنكون معك ونساعدك ، ولكنه كان يحلم ومن حقه ان توفر له الدولة الوظيفة والمسكن لكي يعود مرفوع الرأس ،ولكنه ادرك الحقيقة ومايدور .

وقال الشاعر الفريد سمعان ان رشيد ياسين من الشعراء الذين حاولوا ان يؤثروا في مسرى ومجرى القصيدة العراقية ، عرفته بوقت متأخر ،ولكن هنالك ملاحظة يجب ان تذكر ،حول مسيرة الشعر العراقي ومن المعروف ان الانتفاضة التقدمية نهضت في العراق بعد الحرب العالمية الثانية والقضاء على النازية بعد انتشار الافكار التقدمية في مختلف بلدان العالم ،كانت بغداد محدودة الافق وشارع الرشيد هو الاساس لتحرك الادباء والمثقفين بدأ من باب المعظم والباب الشرقي واذا صح التعبير في مقهى الزهاوي ومقهى حسن عجمي ومقهى البرلمان وشارع المتنبي ، وكان رشيد ياسين مشاكسا ومتحمسا وعنيفا في ارائه ،لم يصحح لبدر شاكر السياب ،انما كانت هناك تدور احاديث ولقاءات وهو يبدي رأيه بقصائده .